صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم ببدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه
وقال بعض البلغا صحبة الاشرار تورث سو الظن بالاخيار وقال بعض البلغا
ان من خير الاختيار صحبة الاخيار ومن شر الاختيار صحبة الاشرار وقال
بعض الشعرا وهو سراقة البارقي د
مجالسة السفيه سفاه راي ومن عقل مجالسة الحليم د
فانك والقرين معا سوا كما قد الاديم من الاديم د
والخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة في
مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة وامد لاسباب المصافاة اذ ليس كل
مطلوب اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب مودة ممتنع عليه
ورغب في زاهد فيه كان معنى خايبا كما قال البحتري د
وطلبت منك مودة لم اعطها ان المعنى طالب لا يظفر
وقال العباس بن الاحنف
د فان كان لا يدنيك الا شفاعة فلا خير في ود يكون بشافع
د واقسم ما تركي عتابك عن قلى ولكن لعلمي انه غير نافع
د واني اذا لم الزم الصبر طايعا فلا بد منه مكرها غير طايع
وقيل لبعض الحكما اي شي من افعال الناس يشبه افعال الاله سبحانه وتعالى
فقال الاحسان الى الناس وان كنت تشاغلا لا تمن لهم فلا لوم ما لم يلجا اليه
مضطر اذ القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع متعذر فهذه احكام الموا
فاذا استكملت هذه في انسان وجب اخاوه وتعين اصطفاوه وبحسب وفور
فيه يجب ان يكون في الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى من غلبة احدها
يجعله مستعملا في الخلق الغالب عليه فان الاخوان على طبقات مختلفة واحوال
متشعبة ولكل واحد منهم حالة يختص بها في المشاركة وشيم يستعان بها في
الموازرة والمظاهرة وليس يمكن ان تتفق احوال جميعهم على حد واحد لان اختلاف
الناس غالب واختلافهم في الشيم ظاهر وقد قال بعض الحكما الرجال كالشجر
شرابه واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور بن اسماعيل الفقيه فقال

بنوادم

بنوادم كالنبت ونبت الارض الوان د فمنه شجر الصندل والكافور والبان د
ومنه شجر افضل ما يحمل قطران د ومن رام اخوانا تتفق احوال
جميعهم رام امرا متعذرا بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل في نظايره
اذ ليس الواحد من الاخوان يمكن الاستغنا به في كل حال ولا
المجبولون على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما
بالاختلاف يكون الايتلاف وقد قال بعض الحكما لبيس لبيس من لم يعاشر
من لم يجد من معاشرته بدا وقال المامون الاخوان ثلاث طبقات طبقة
كالغذا لا يستغنى عنه وطبقة كالدوا يحتاج اليه احيانا وطبقة كالدا لا
يحتاج اليه ابدا ولعمري ان الناس كما وصفهم وليس من كان منهم
كالدا من الاخوان المعدودين بل هم من الاعدا المحذورين وانما يداجون
بالمودة استكفافا لشرهم وتحرزا من مكاشفتهم فدخلوا في اعداد
الاخوان بالمظاهرة والمساترة وهم من الاعدا عند المكاشفة والمجاهرة
وقال بعض الحكما مثل العدو الضاحك اليك كالحنظلة الخضرة اوراقها
القاتلة مذاقها وقد قيل في حكم الفرس لا تغترن بمقاربة العدو فانه
كالما ان اطيل اسخانه بالنار لم يمنع من اطفايها وقال يزيد بن الحكم الثقفي
د تكاشرني كرها كانك ناصح وعينك تبدي ان صدرك لي دوا د
د لسانك معسول ونفسك علقم وشرك مبسوط وخيرك ملتوا د
د فليت كفافا كان خيرك كله وشرك عني ما ارتوى الما مرتوى د
فاذا خرج من كان كالدا من عدد الاخوان فالاخوان هم الصنفان الاخران
من كان منهم كالغذا او كالدوا لان الغذا قوام النفس وحياتها والدوا علاجها
وصلاحها وافضلهما من كان كالغذا لان الحاجة اليه اعم واذا تميز الاخوان
وجب ان ينزل كل واحد منهم حيث تنزلت به احواله اليه واستقرت به
خلاله وخصاله عليه فمن قويت اسبابه قويت الثقة به وبحسب الثقة به
يكون الركون اليه والتعويل عليه قال الشاعر د
ما انت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب د

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)